

فيهم الأوائل، لم يفقدوا وضوح الاتجاه ابداً، فيما يتعلق بدور دولة اليهود المقترحة. فقد كان هذا الدور واضحاً منذ البدء لهرتسل عندما كتب: «سوف نقيم [في فلسطين] سداً منيعاً لأوروبا ضدّ آسيا. ونقوم بدور مركز الحراسة للحضارة ضدّ البربرية»^(٥٨).

الصهيونية شكل من أشكال مقاومة الامبريالية لانحلالها الحتمي

لم يكن الحلم الصهيوني بتأسيس دولة يهودية يدور في فضاء معزول عما كان يجري في القارة الأوروبية. فقد تناغم هذا الطرح منذ البداية مع متطلبات النظام الرأسمالي في مرحلته العليا — الامبريالية. وكان هرتسل، مؤسس الحركة الصهيونية، قد أشار الى هذه الحقيقة بقوله: «تقتضي الضرورات الدولية قيام دولة اليهود، ولهذا يجب أن تقوم»^(٥٩). وقد لاحظ لينين سعي الرجعيين الأوروبية لخلق مشكلة يهودية عالمية، في فترة حرجة من عمر الحركة الثورية الصاعدة في العالم. وفي هذا الصدد، كتب في العام ١٩٠٢ متسائلاً: «هل ياترى يمكن تفسير ذلك الواقع وهو أن كل القوى الرجعية في أوروبا بالذات، وبخاصة في روسيا، تتآلب ضدّ اندماج اليهود. وتعمل على تكريس عزلتهم، على انه مجرد مصادفة؟»^(٦٠).

يقول يوري ايفانوف: «ان اشتداد الصراع الطبقي على اعقاب القرن العشرين وضع الامبرياليين أمام ضرورة توطين ودعم القوى التي تحارب بهذا الشكل أو ذاك الحركة البروليتارية الأممية. وبالتالي كانت توجد مصلحة موضوعية لدى حكام جميع الدول الأوروبية بدون استثناء في ظاهرة كالصهيونية»^(٦١). وقد تماثلت رؤى الدوائر الامبريالية وقادة الحركة الصهيونية فيما يتعلق بدور دولة اليهود. ففي الثامن من شباط (فبراير) من العام ١٩٢٠، أي بعد مرور ثلاثة أعوام على انتصار الثورة البلشفية، كتب ونستون تشرشل، وزير الحرب البريطاني آنذاك، مقالاً في صحيفة «الاستريتد صنداي هيرالد» (Illustrated Sunday Herald)^(٦٢). تحت عنوان الصهيونية ضدّ البلشفية (Zionism Versus Bolshevism). يبدي تشرشل، في هذا المقال، تخوفه من أن يقع يهود أوروبا الشرقية والبلقان، نظراً لبؤس أوضاعهم وحرمانهم من الحقوق المدنية، تحت تأثير دعاوة الثورة البلشفية. وحيث رأى تشرشل ان اليهود، في ظل السلطة السوفياتية، قد حصلوا فعلاً على حقوق كانوا قد حرّموا منها طويلاً في العهد القيصري. فقد تخوف من أن يصبح هذا الانجاز نموذجاً يتطلع اليه يهود البلدان الأخرى من العالم. مما سيعني تكريس مكانة الثورة البلشفية محلياً ودولياً. وبالتالي تغذية الحركة الثورية ورفدها بالكادحين من اليهود. وللحيلولة دون أن يشكل اليهود رصيماً ثورياً في بلدانهم الأم، ارتأى تشرشل ضرورة وضع اليهود في تناقض عدائي مع الثورة الاشتراكية وحركة التحرر العالمي. ولحرف انظارهم عن الحل الصحيح لمشكلتهم، شرع تشرشل شخصياً، بتشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين؛ دافعاً الى الامام النموذج الصهيوني للحل كخيار وحيد أمامهم. وأما هرتسل، مؤسس الحركة الصهيونية، فكان قد عبر، في يومياته، عن هلهه من أن ينحاز الكادحون اليهود للحركة الثورية في أوروبا مشيراً الى ضرورة حرقهم عنها؛ بقوله: «كما تجب الإشارة بشكل خاص الى أننا في كل مكان نحارب الثوريين. وفي الحقيقة فاننا نبعد الطلاب والعمال اليهود عن الاشتراكية والعدمية، بطرحنا أمامهم نموذجاً انقى للشعب الامثولة»^(٦٣).